الوسط Alwasat
يومية سياسية مستقلة
opinion@alwasatnews.com
العدد 5383 السبت 3 يونيو 2017 الموافق 8 رمضان 1438هـ
Saturday 3 June 2017, Issue No. 5383

سعيد محمد
saeed.mohd@alwasatnews.com

خطابات الكراهية مطلوبة... لماذا نكذب؟

□ لم يعد الكثير من الناس يتفاءلون أو يتفاعلون أن يثقوا في تصريحات المسئولين العرب المتعلقة بمواجهة الخطاب المتشدد والتكفيري وخطابات الكراهية، فلقد تبين أنها مجرد (لقلقة لسان) تجول وتصول على ألسنتهم، فيما الحقيقة المؤلمة هي أن الكثير من الدول، في منابرها الدينية وإعلامها، ترعى خطاب الكراهية... فلماذا نكذب على أنفسنا وندعي أننا كدول ومجتمعات: معتدلة... متسامحة... منفتحة... نحارب التكفير والتشدد والطائفية؟ ولماذا لا تظهر القوة في تطبيق هذا (الهراء) إلا على مكون هنا، أو طائفة هناك، أو ملة بينهما؟

نتمنى أن يكون الحديث عن مواجهة خطابات الكراهية والطائفية قائماً على أساس الصدق والقناعة، فليس معقولاً أن تجد في بضع منابر (أياً كانت طائفة ذلك المنبر... وأكرر... أياً كانت طائفة ذلك المنبر)، تجد من يشتم ويكفر ويزبد ويدعو لسفك دماء الناس ويخونهم وتجد الدولة (ساكتة عنه)، وما أن يتحدث منبر آخر (أيا كانت طائفة ذلك المنبر... وأكرر... أيا كانت طائفة ذلك المنبر)، عن قضايا الناس وهمومهم أو يتحدث في مساحة السياسة والحكم والنظام السياسي، إلا وقد ناله من الهجوم والتنكيل والتخوين ما ناله... بل ودون شك، ستلاحقه هذه المفردات الجاهزة: خائن... متآمر... رافضي... ذنب إيران... صفوي... كافر... مشرك... وكأن أولئك، وخصوصاً من أتباع الجيش الإلكتروني في «تويتر» وغيرها، وكأنهم ما حفظوا أو (لم يتمكن صاحبهم وراعيهم) من تعليمهم وتحفيظهم سوى تلك الكلمات.

على أية حال، سأخرج من دائرة الناس الذين (ما عادوا يتفاءلون أو يتفاعلون) مع تصريحات المسئولين، وسأتفاءل باللقاء الذي جرى بين وزير العدل والشئون الإسلامية والأوقاف الشيخ خالد بن علي آل خليفة، يوم الثلثاء (30 مايو/ أيار2017)، مع مجلسي إدارة الأوقافين الجعفرية والسنية، بحضور وكيل الوزارة للشئون الإسلامية فريد المفتاح، ولعلني لم أتحدث سابقاً عن الوزير، إلا أن الوكيل المفتاح، واحداً ممن تناولت خطبهم وأفكارهم ومنهجهم المعتدل منذ سنين طويلة، بل منذ بداية عملي في الصحافة في العام 1989، وكنا نجد في مقالاته وكتاباته المتيسرة لنا ما يثلج الصدر، ففيه وفي أمثاله الخير.

ذلك اللقاء كما ورد في الصحافة (سلط الضوء على تأكيد الوزير على أهمية توسيع مجالات الحوار الثقافي ونبذ كل أشكال العنف والتطرف، وأهمية تجديد الخطابات الفكرية وترشيدها لتكون متوافقة مع منهج الإسلام الوسطي المعتدل، والتصدي للأجندات المذهبية والطائفية لما لها من تداعيات خطيرة على أمن المنطقة والعالم، ومحاربة الإرهاب بكل أشكاله والتصدي لجذوره الفكرية وتجفيف مصادر تمويله)... انتهى الاقتباس، وذلك الأمر في غاية الأهمية، فلماذا لا تزال مساحات من وسائل التواصل الاجتماعي والمواقع الإلكترونية بل وحتى بضع خطب هنا وهناك تنال من المواطنين وتكفرهم وتخونهم وتخرجهم من ملة الإسلام فقط لأنهم (معارضون سياسيون) أو (ليسوا من مذهب الخطيب فلان والمتحدث علان)! لماذا لا تتم مساءلتهم ومعاقبتهم؟ هل هذا نوع من المكافأة؟ أسئلة كثيرة لا تحتاج إلى إجابات فقط، بل تحتاج إلى تقديم أمثلة حقيقية... وهي متوفرة إن أراد المسئولون.

من المؤسف جداً أن تتوالى الحوادث الجسيمة وسط وحول منطقة الخليج العربي، فيما ثمة ظواهر تنخر من الداخل وكأنها أصبحت من المسلّمات المقبولة والطبيعية، ومنها التكفير والطائفية، ولعل الكثير من الكتاب والباحثين والمهتمين، كثفوا عملهم وكتاباتهم في هذا الحقل لكونهم من أشد مهددات الاستقرار خطورة... فهل يغرق الخليج في الطائفية؟ ولماذا كل هذا الفشل في تطويق مسببات بث الطائفية والتناحر والصدام العقائدي؟

وليس هناك ما يمكن اعتباره أفقاً مجهولاً لمخاطر الطائفية التي عجزت الكثير من الدول والحكومات عن وأدها، حتى أن الحقيقة المنطقية التي يمكن القبول بها في غمرة كل ذلك التهاون، أن الطائفية والتكفير والعنصرية والتمييز المرتبط بالفساد وغياب العدالة الاجتماعية، لا يمكن أن تنتشر إلا في مجتمعات ودول وحكومات هي في الأساس أفسحت الطريق لها لكي تنمو وتترعرع وتنتشر، وإلا فما من دولة تريد سحق الطائفية والحفاظ على نسيجها الوطني وحماية كل المكونات والأديان والمذاهب إلا ونجحت في ذلك.

لقراءة المقالات السابقة

الحضن الإعلامي الذي آوى «داعش وأخواتها»

هاني الفردان
hani.alfardan@alwasatnews.com

□ عندما تصل بلغة خطاب إقصائية، ترفض الاعتراف بوجود الآخر، بل تعمل على تخوينه، وشيطنته، ورميه بكل التهم، فاعلم بأن صاحب الخطاب بلغ حد الإفلاس، وأنه يسير على ذات نهج الجماعات التي تكفر الآخرين، ولا ترى إلا نفسها هي الصواب، وأنها من تمتلك الحقيقة الكاملة، ومن يختلف معها مجرد مجموعات «إرهابية»!

ليس صعباً أن تتهم أحداً بـ «الإرهاب» أو العمالة أو الخيانة، أو أي تهمة، فهي كلمة سترمى، سواء كانت مسئولة أو غير مسئولة، من شخصية عامة أو مجهولة أو من جاهلة أو كاتبة، أو من أي شخص آخر، ولكن من الصعب عليك أن تثبت ذلك على أرض الواقع بعيداً عن الترهات والمهاترات والاسترسال في الكلام والإنشاء.

من المعيب أن يصل الخطاب لحد وصف كل من له خطاب آخر أو لغة أخرى أو رأي مختلف بأنه «إرهابي»، من المعيب أن يسمح لهذه الخطابات الإقصائية الرافضة لوجود الآخر، أو حتى للتعبير عن رأيه بهذه الطريقة العنصرية والطائفية.

من يمجد الإرهاب؟ من يتستر عليه؟ لن نمل من إعادة هذا الكلام، حتى تكون الأمور واضحة، والصورة مكشوفة، والحقيقة ناصعة، بالدليل وليس بالمهاترات والافتراءات، لكي نوضح بما لا شك فيه من هو الحضن الذي آوى وتستر على خلايا «داعش»، ومن هو الذي هدد بـ «القاعدة» واستدعائها إلى البحرين؟

من برر للإرهاب؟ ومن هدد بـ «القاعدة»؟ ومن رفض الحديث عن وجود «داعش» في البحرين؟ ومن حذر المسئولين من مغبة الوقوع في «فخ» الحديث عن وجود «داعش» في البحرين للتستر عليهم، وشغل الرأي العام والجهات الأمنية عن حقيقة وجودهم؟ من يخلط الأوراق ويسعى لتحقيق المكاسب الشخصية على حساب المصلحة العامة؟ من يرفض الإصلاح وإعطاء كل ذي حق حقهم، ومن يرفض الآخر مهما كان لمجرد الاختلاف معه؟

هل «القاعدة» ليست إرهابا، وهل التهديد باللجوء لها وتخويف الناس منها ومن استدعائها، لا يعد إرهاباً، من لجأ إلى ذلك التخويف، ومن تحدث عن قبوله بالتغيير في حال «وجدت معارضة وطنية لبناء التجربة الديمقراطية الحقيقية»، هي ذاتها التي كانت تقول في مارس/ آذار 2013 من خلال التخويف بـ «القاعدة وأخواتها» إن «التطرف السني الذي بدأ ينشط مؤخراً سيتسيد هو الموقف لا في مواجهة الشيعة فقط بل حتى في مواجهة المصالح الأميركية»، عبارة واضحة المعالم في رسالة دقيقة ومقصودة، وهي جاءت في سياق التهديد بـ «القاعدة» لمواجهة أي مطالب اصلاحية في البحرين، فتم استخدام اللغة الطائفية والتهديد بـ «الإرهاب» و «القاعدة»، لرفض أي اصلاح.

ما قيل في ذلك الوقت ولحظته لم يستوعب ثقله لا مجتمعياً ولا سياسيّاً سواء محليّاً أو حتى دوليّاً حتى من قائله لسذاجته، إلا بعد نشره، لنجد أنه في يوم واحد طرح تبريراً مطوّلاً جداً لم تستوعبه المساحة المعتادة، بل تجاوز لتفاصيل مطولة في محاولة عبثية لتفسير ما هو مفسر، ولتبرير ما هو مبرر، وللتراجع عن التحذير والتهديد بـ «استخدام تنظيم القاعدة» في حال فرض الاصلاح على البحرين!

ذلك التفكير الإقصائي واضح من قبل ومستمر حتى الآن، لم يتغير، ولم يتعلم، ولم يستوعب الدرس، لذلك كان ولايزال لب الكلام إما ما نريد وما نقول أو مصيركم هو «القاعدة وأخواتها» وحالياً التهديد بهدم منازل القرى وإبادة أهاليها.

الإرهابي، هو ذلك الذي حاول التستر على «داعش»، وحذر من الوقوع في فخ وجودها في البحرين، ليس لعدم قناعته بوجودها، بل للتستر عليها، ولإبقائها كأداة يمكن استخدامها في حال تطلب الأمر ذلك، فلم يكن التهديد باستجلاب «القاعدة» عبثي بل كان واقعي، وما كان التستر على خلايا «داعش»، إلا لتحقيق ذلك الهدف وعندما تسير الأمور عكس ما كان يريدون.

من يتهم الأخرين بـ «الإرهاب» لا يهدد به! من «لا يكيل بمكيالين» كما يقول، لا يتستر على خلايا «داعش» في البحرين، ويحذر المسئولين في الأجهزة الأمنية من الوقوع في «الفخ» و «الانسياق والانجرار إلى الحديث عما لا وجود له في البحرين»، حتى افتضح أمرهم، وكشف عن نواياهم.

الفكر الإقصائي الأحادي الرافض لغيره، هو الذي يجعل من البعض أن يرفض وجود الآخر ويهدد بإزالته وهدم منازله، وهي السمة الأبرز والمشتركة بين هذه عقلية والفكر الداعشي اللذين يلتقيان في رفض وجود أي فكر يختلف معهما، وبالتالي لا يتوانيان عن إسقاط ما بهم على غيرهم، كعادة قياداتهم في «القاعدة» و «داعش»، ولذلك تحولوا إلى حضن إعلامي حاضن لـ «القاعدة» و «داعش».

لقراءة المقالات السابقة

سياسة الرئيس ترامب... تداعيات متباينة في العالم

شفيق الغبرا
أستاذ العلوم السياسية في جامعة الكويت

□ الرئيس ترامب الذي لم يكمل شهوره الأربعة الأولى هو عملياً أضعف رئيس أميركي على مستوى الإنجاز والشعبية، وأكثرهم تورطاً في تحقيقات قد تطيح به وبمعاونيه... ترامب هو الرئيس الذي يريد بناء أطول جدار مع المكسيك ويسعى لجعل إسرائيل في قلب الواقع العربي دون أدنى تعامل مع الحقوق التاريخية للشعب العربي الفلسطيني.

لقد ووجه ترامب بمقاومة أميركية جديدة وذلك عندما رفضت محكمة أميركية، في أول حكم فيدرالي، قراره بإيقاف دخول المسلمين من عدة دول عربية وغير عربية بصفته قراراً يناقض الدستور، وبل ووفق المحكمة التي صوّت 10 قضاة منها ضد قرار ترامب مقابل 3 قضاة، فالقرار بمنع المسلمين من دخول الولايات المتحدة ينم عن عنصرية مسبقة... قرار المحكمة لم يترك أمام الرئيس سوى الذهاب للمحكمة الدستورية العليا، وذلك لإقرار منع ما يقارب 200 مليون مسلم وعربي من دخول الولايات المتحدة... وعلى الأغلب لن ينجح في قراره، فالواضح أن قوى كثيرة تشتبك مع الرئيس وسياساته وأسلوبه في التعامل مع الأصدقاء والأعداء والحلفاء والناتو.

سيبقى الرئيس ترامب في مرمى النيران والارتباك، فهو في حرب مع الإعلام، وفي حرب مع مؤسسات الدولة الأميركية ومع قطاعات كبرى من المجتمع المدني الأميركي... هذه المواجهة الداخلية بين ترامب وفريقه وبين فئات كبرى تدخل كل يوم في مرحلة جديدة تحملها نحو أبعاد لم يكن يتوقع أحد بأنها ستصل إليها... هناك بالفعل واقع جديد تفرزه الأوضاع الأميركية.

والجديد في سياسة الولايات المتحدة، كما تصدر من البيت الأبيض أنها لن تتعامل مع حقوق الإنسان إلا في الدول والمجتمعات التي تناصبها العداء، هذا أسلوب خطته الولايات المتحدة في زمن الحرب الباردة وشابه الكثير من النقد بسبب تحالفها مع ديكتاتوريات في دول في آسيا وأميركا اللاتينية وغيرها... ترامب لا يتحدث عن إصلاح أو حقوق إنسان إلا إذا كان الأمر يتعلق بمن صنفهم في خانة الإرهاب.

إن الأجواء التي يثيرها الرئيس ترامب ستنتهي بنا إلى العكس تماماً من إعلاناته، فهي ستزيد من الاحتقان في العالم، ولكنها في الإطار العربي ستسهم في توتر الحالة المذهبية، بالإضافة للتوتر بشأن غزة بما في ذلك آفاق قتال جديد وضربات إسرائيلية دون تحقيق انتصار ضد حماس، وسيزداد التوتر في جنوب لبنان بما في ذلك آفاق محاولات إسرائيلية باتجاه الجنوب تدميراً دون أن يعني هذا المقدرة على التقدم والاحتلال... وفوق كل هذا سيزداد الإرهاب اشتعالاً، نظراً لعدم المقدرة على التعامل مع مسبباته الحقيقية المرتبطة بالبطالة والحقوق والعدالة. بوجود ترامب في قيادة الولايات المتحدة سيزداد المشهد عبثية، وهو لن يضعف الدور الروسي في الإقليم وإن كان سينجح نسبياً في بعض التعديل.

لكن المعضلة الأكبر ليست في السياسة الخارجية فقط، بل في الإدارة الراهنة، فكلما طال أمد وجود ترامب في الحكم سيكون التغير الأميركي القادم أكبر وأعمق، ففي انتخابات 2018 للكونغرس سنرى حجم التغير المضاد لسياسات ترامب، لكن في انتخابات 2020 سيقع زلزال كبير في الساحة الأميركية، وهذا بدوره سينعكس على العالم، حينها ستفتح ملفات كثيرة تتعلق بالحقوق والإصلاح والحروب، بوادر هذا واضحة الآن في الساحة الأميركية وفي كبرى الصحف والمؤسسات... التغير القادم في الولايات المتحدة سيكون أكثر ديمقراطية وحقوقية ونقدية تجاه إسرائيل وعنصريتها وأكثر التزاماً بحقوق الإنسان تجاه العالم... إن الولايات المتحدة التي يمثلها ترامب ليست كل الولايات المتحدة، بل يمثل ترامب الرئيس الآن فريقاً صغيراً سيزداد تراجعاً مع الوقت... ترامب ليس زعيماً من العالم الثالث يحكم بلا مساءلة وخارج فضاء الشعب والمؤسسات، إنه بالكاد يمسك بخيوط البيت الأبيض نفسه.

لقراءة المقالات السابقة

الحب وسط المأساة

عبدالحسين شعبان
كاتب عراقي وحقوقي عربي

□ «هناك بعض الناس لا يعتبرون غيرهم بشراً، وينظرون إليهم على أنّهم أشياء، فيفعلون بهم أيّ شيء». هذا ما قالته المغنية الأميركية من أصول أرمنيّة «شير»، بعد أن شاهدت فيلم «الوعد- THE PROMISE» الذي يتناول قصّة إبادة الأرمن التي ابتدأت في 24 إبريل/ نيسان1915 في غمرة أحداث الحرب العالميّة الأولى (1914-1919) والتي شهدت بدايات إنهيار الإمبراطورية العثمانيّة.

الفيلم يتحدّث عن طالب أرمني يُدعى مايكل بوغوصيان (أوسكار إيزاك- الأميركي من أصل غواتيمالي) الذي كان يحلم بتطوير النظام الطبي في بلدته، حيث يتعايش فيها المسلمون والمسيحيون منذ مئات السنين، والتي تقع جنوب تركيا.

حين يبدأ بوغوصيان مشواره الدراسي في مدينة القسطنطينية (اسطنبول) ذات التنوّع والتعدديّة الثقافيّة والإثنيّة، يلتقي بالفاتنة الأرمنيّة «أنّا» (الممثّلة الفرنسيّة شارلوت لو بون) فيقع في غرامها على رغم علاقتها مع الصحافي والمصوّر الأميركي «كريس مايرز» (كريستيان بيل- الممثّل البريطاني) الذي يحتفظ بدفترٍ يكتب فيه يوميّات عن أعمال الإبادة الجماعيّة ويتمّ العثور عليه ويُعتقل، ولولا وصول خبر اعتقاله إلى السفارة الأميركيّة لكان مصيره في خبر كان مثل غيره من مئات الألوف الذين ذهبوا ضحايا بدمٍ بارد، حيث تدخّلت السفارة الأميركيّة لإنقاذه ومن ثم ترحيله.

الحدث الدرامي والمأساوي هو ما يميّز الفيلم الذي أضفى مخرجه الإيرلندي تيري جورج لمساته الفنّية عليه، وخصوصاً أنه قد عمل سابقاً على موضوع الإبادة في فيلمه المرشح لجائزة الأوسكار «أوتيل رواندا». وبلغت تكاليف إنتاج فيلم «الوعد» 100 مليون دولار، قام بالتبرّع بها رجل الأعمال الأرمني الراحل «كيرك كيركوريان» الذي نجت عائلته من المذبحة التي ارتكبت حينها.

الفيلم يعيدنا إلى الموقف من المجاميع الثقافية الأخرى، الإثنيّة والدينيّة والسلاليّة واللّغويّة، حيث تندلع أعمال إبادة وحشيّة اليوم بحق الشعب الفلسطيني الذي تستمر معاناته منذ نحو 7 عقود من الزمان. ونستحضر معه المآسي التي حصلت للإيزيديين على يد «داعش» بعد احتلاله الموصل، وخصوصاً قتل شبابهم وسبي نسائهم، وقبل ذلك ما حصل للصابئة المندائيين في العراق من أعمال استهداف وعنف حيث اضطرّ الآلاف منهم إلى الهجرة، مثلما تعرّض المسيحيون لا سيّما في العراق وسورية إلى مأساة حقيقيّة بسبب أعمال التعصّب والعنف والإرهاب.

المأساة التي حصلت للشعب الأرمني لم يتمّ الاعتذار عنها، علماً بأنّ الرواية التاريخيّة التي حاول الفيلم أن يضيء عليها تقول أن نحو مليون ونصف المليون من أبنائه قتلوا غدراً. وإذا كان التاريخ مراوغاً بحسب «هيغل» فحسبنا اليوم بالوقائع الدامغة التي تستوجب عمل كلّ ما من شأنه حماية البشر، ووضع حدّ للمآسي الإنسانية بغض النظر عن الدين أو العرق أو اللغة أو اللون أو الأصل الاجتماعي، فالبشر، كل البشر، لهم الحق في الحياة والعيش بسلام ودون خوف.

إنّ أبسط ما يمكن تقديمه للضحايا في الماضي والحاضر هو تحريك ضمير المجتمع الدولي للاعتراف بما حصل والاعتذار عنه وكشف الحقيقة كاملةً وتعويض الضحايا وجبر الضرر والعمل على إصلاح الأنظمة القانونية والقضائية لكي لا يتكرر ما حصل ولكي لا يفلت الجناة من العقاب. وذلك ما يندرج في إطار العدالة الانتقاليّة على المستوى الدولي والوطني.

وإذا كان فيلم «الوعد- THE PROMISE» يعكس مأساة الشعب الأرمني الحقيقية التاريخيّة، فإنّ ما يجري على أرض الواقع يتطلّب عملاً جاداً ومسئولاً وعلى جميع الجبهات؛ الفكريّة والثقافيّة والدينيّة والسياسيّة والاقتصاديّة والتربويّة والقانونيّة والدبلوماسيّة، لاستئصال التعصّب والتطرّف والإرهاب وإشاعة ثقافة التسامح والسلام والتآخي نقيضاً للثقافة السائدة التي تقوم على الكراهية والعنف والانتقام.

ملاحظة أخيرة لا بدّ من الإشارة إليها بخصوص الفيلم وهي أنّه، على رغم محاولته تصوير بشاعة الجريمة، إلا أنّه لا يخلو من تمرير دعاية موجّهة، مثل «مدنيّة وتحضّر» الأميركيّين والفرنسيّين والغرب عموماً ودفاعهم عن حقوق الإنسان، كما يُدَسّ فيه اسم «اليهود»، لدرجة أنّ أحد المسئولين الأتراك يخاطب أحد موظّفي السفارة الأميركيّة في أنقرة بقوله «أنت تدافع عن الأرمن لأنّك يهودي»، مُظهراً تعاطفاً زائفاً في حين أن العرب في حلب والموصل وبيروت وعمان والقاهرة وغيرها من المدن العربيّة هم من استقبل الأرمن ووفّروا لهم الأمن والحماية، دون أن ننسى أنّ عدداً من العوائل التركية ساهم في إنقاذ عوائل وأفراد من جيرانهم ومعارفهم الأرمن بتأمين مخابئ لهم، كما قاموا بتربية بعض الأطفال الذين فقدوا ذويهم خلال أعمال الإبادة.

ومثلما ترتفع اليوم المطالبات بالاعتذار للأرمن، فإنها تشمل اعتذار الفرنسيين عن احتلالهم الجزائر وما ارتكبوه من أعمال بربريّة، واعتذار الأميركان لسكان البلاد الأصليين على ما قاموا به من إبادة بحقّهم، واعتذار البريطانيين عن وعد بلفور الذي ألحق أفدح الأضرار بالشعب العربي الفلسطيني. وبغضّ النظر عن كل شيء فإنّ الفيلم هو لائحة اتّهام، بل وثيقة إدانة لأنّه يُظهر المأساة الحقيقيّة لشعب تعرّض للإبادة.